السوريون في اميركا

دارت على اسلافنا الفينيقين صروف الدهر فانتفرضوا واندثرت معهم مدنيتهم الغريبة وصنائعهم العجيبة وباتت مدينتهم صور القديمة التي كانت محط رحال تجارة الشرق والغرب وام المدائن في العالم المعمور في ايامهم عظمة وثروة وقوة اثارًا طوامس واطلالاً دوارس

ماتوا حسب سنة القضاء وشريعة هذا الكيان ولكن مزاياهم الغراء ومآثرهم الشماء لم تمت. فقد كانوا مثال النشاط والاقدام والهمة وافادوا العالم في ايامهم فوائد كثيرة ورث بعضها اهل العصور التي جاءت بعدهم

ولم يبقَ لنا نحن السوريين شيء يذكر من تلك الفوائد حتى ان آثار بلادهم التي تدل على ما بلغوهُ من درجات المجد والسعد قليلة جدًّا بالنسبة الى آثار المصريين القدماء التي ظهرت بكثرة في هذا العصر. غير انهم خلفوا لنا مزية لا تقدر فوائدها وهي الميل الى الاسفار وركوب البحار لاكتساب المال واكثار المنافع. فقد اموا في ايامهم قارات اوربا وافريقية واسيا وابتنوا فيها المدائن التجارية الكبيرة وبثوا روح المدنية. ولو كان افتتاح كولمبس للعالم الجديد في ايامهم لكانوا اول من قصدوهُ وحرثوا اراضيهُ واستثمروا خيراتهِ واستخرجوا معادنهُ وعمروا مدائنهُ ونظموا هيئتهُ الاجتماعية

عرف عامة السوريين منذ نحو ثلاثين سنة أن في الارض بلادًا جديدة تسمى اميركا، وهذه البلاد جزيلة المال عظيمة الاتساع طيبة الهواء وان تحصيل الثروة فيها من الحقّق وان حكوماتها عادلة والامن سائد كل انحائها وان مئات الالوف هاجروا اليها من انكلترا وفرنسا والمانيا والنمسا وايطاليا واليونان وسواها وانهم جمعوا منها الاموال الطائلة وامتلكوا فيها الاراضي الواسعة وان معظمهم جعلوها وطنًا لهم واحوالهم فيها من زراعة وصناعة وتجارة على جانب عظيم من التقدم

فهذه الانباء ولّدت روحًا جديدة في الذين بلغتهم فطمحت ابصارهم الى مشاهدة تلك البلاد الجديدة بجاوُها. ولما تحققوا بالخبر ما سمعوهُ بالخبر ارسلوا يطلبون عيالهم وانسباءهم واصحابهم فاتوا اميركا وجمعوا الاموال الطائلة فاستفادوا وافادوا

ومن نحو ربع قرن حتى يومنا هذا اصبح طريق اميركا طريقهم المطروق وسكتهم المسلوكة فكثر عددهم فيها وانتشروا في ولاياتها يفتحون ابواب الرزق ويكتسبون المال. فمنهم من

جعل هذه البلاد وطناً له ومنهم من رجع الى سورية فحسَّن املاكه بما اخذه من المال او ابتاع بها املاكاً جديدة او نفقت دراهمه لضيق ابواب المعاش في سورية فعاد الى اميركا ثانية

وقدوم السوريين الى العالم الجديد في هذه السنين الاخيرة امر غريب فلا ترى سفينة قادمة الى هذه البلاد الاَّ وفيها عدد كبير من مهاجريهم . اما عدد السوريين في المهاجر كلها فلم يعرف بعد . فمنهم من يقول انهم بلغوا ٢٥٠٠٠٠ نسمة ومنهم من يقول انهم اكثر ومنهم من يقول انهم اقل . ويقدَّر ان في الولايات المتحدة وحدها نحو ستين الفاً منهم . ولقد سألت حضرة الكاتب الاديب نعوم افندي مكرزل صاحب جريدة الهدى عن عدد السوريين في المهاجر كلها فاجابني ان عدد السوريين المهاجرين مئتان وخمسون الفاً ٦٠ الفاً في الولايات المتحدة و ٥٠ الفاً في اميركا الجنوبية و ٢٥ الفاً في اميركا المتوسطة و ١٠ الاف في اوستراليا وبعض الجزائر والياقون في افريقية والهند والفلبين

ولما كان كثيرون من مطالعي هذه المجلة يودُّون الوقوف على احوال السوريين في العالم الجديد وكان حديث السواد الاعظم من ابناء سورية في هذه الايام عن هذه الديار العامرة رأيت ان اكتب كلمة في هذا الموضوع وقد قسمت الكلام الى خمسة ابحاث وخاتمة

البحث الاول في اعمال السوريين واشغالهم في الولايات المتحدة

فمنهم باعة الكشة وهم العدد الاكبر من المهاجرين الى هذه الديار والاكثر ثروة والاوسع تجارة . وحرفتهم شاقة فهم اليوم في هذه الولاية وغداً في ولاية اخرى . وتجارتهم محصورة مع جمهور الفلاحين والمزارعين وقد امتازوا باجتهادهم واقتصادهم ولكن استعمال بعض سفلتهم للخداع والغش في معاملتهم نفَّر جمهور الاميركيين منهم فوقفت حركة اعمالهم عما كانت عليه قبلاً

ولما كثر عدد المهاجرين واختبروا البلاد وسكانها وعرفوا اذواقهم وعوائدهم واخلاقهم ومتاجرهم وصنائعهم اقتصروا على الاتجار بالاقمشة الرائجة عند الاميركان كالملبوسات الحريرية والصوفية والكتانية وما اشبه فاحسنوا وتضاعفت ارباحهم

وربح بائع الكشة يقدر سنوياً بنحو ٥٠٠ ريال واذا كان عدد الباعة خمسين الفاً كما يقدر فيكون ربحهم السنوي خمسة وعشرين مليون ريال او خمسة ملايين ليرة مصرية . وقد قلَّ عدد الباعة في هذه الايام الاخيرة بسبب كره الاميركي لهذه الحرفة فتحولت انظار كثيرين منهم الى مجاراة الاميركان في اعمالهم

ومنهم باعة الحرير وهم فئة الشبان والشابات السوريين المهذبين الذين لم يرتضوا بمعيشة صاحب

الكشة والتجول في البراري والقفار ومقاساة آلام الحرّ والبرد الوانًا فشرعوا في الاتجار بالبضائع الحريرية النفيسة والمطرزات الشرقية مع اغنياء هذه البلاد واكابرها . وباعة الحرير يختلفون عن باعة الكشة في المعيشة وهم اول السوريين الذين تملكت فيهم العوائد الاميركية واصبحوا في معيشتهم لا يختلفون كثيرًا عن سكان البلاد الاصليين . وهم يكسبون من المال اكثر مما يكسب باعة الكشة . ولكن نظرًا لنفقاتهم الباهظة ليس لديهم ما لدى صاحب الكشة من الثروة

ومنهم عمال المعامل والطرق والاسواق والمتاجر وهم قليلون لا يرجى منهم نفع مادي ولا ادبي لان دخلهم محصور ولا يكاد يكفي نفقات معيشتهم

ومنهم الزراع وهم قلالٌ جدًّا بالنسبة الى عدد المهاجرين من السوريين على ان هذه المهنة الشريفة افضل كثيرًا لمستقبل السوري من غيرها . وقد اعطت الحكومة بعض الاراضي مجانًا لمن يعمل في الفلاحة والزراعة وعينت لكل منهم ١٦٠ فدانًا تملكهُ اياها شرعيًّا بعد مرور خمسة اعوام عليها

ومنهم تجار باعة الكشة او الذين يقدمون البضائع اللازمة لباعة الكشة وهم ذوو ثروة عظيمة وتجارة واسعة ولهم سمعة حسنة بين التجار الاميركيين . ونجاحهم موقوف على نجاح بائع الكشة . فاذا دارت حركة تجارة هذا دارت الحركة في شارع واشنطون في نيويورك حيث العدد الاكبر منهم كما ان منهم كثيرين في سائر الولايات المتحدة

ومنهم تجار باعة الحرير او الذين يقدمون البضائع اللازمة لباعة الحرير وهم ارباب ثروة ومقدرة على التجارة يستجلبون انفس بضائع الشرق وافخر بضائع فرنسا وايطاليا والمانيا وسائر ممالك اوربا وكلهم في مدينة نيويورك ثاني مدائن العالم في عدد السكان والحضارة والعمران

ولقد نشرت بعض الجرائد الاميركية فصولاً تثني فيها على همة تجار السوريين ونشاطهم وتفننهم في اساليب التجارة . ولا غروَ فان بيننا منهم من يفتخر بذكرهم ويعطر اسم الجالية السورية

ومنهم تجار الرياش الشرقية عمومًا والسجّاد التركي والعجمي خصوصًا . وهم يزاحمون الارمن على هذه التجارة المهمة . اما محلاتهم التجارية فهي في المدائن التي يؤمها اغنياء الاميركان في فصلي الصيف والشتاء ترويحًا للنفس

قال لي احد المتعاطين لهذه التجارة من شبابنا الادباء ان هذه المهنة اشرف المهن واجزلها ربحًا فان تجارتها محصورة مع اكابر الاميركان واغنيائهم وارباحها طائلة وانهُ كلما زاد رأس مال صاحبها كثرت ارباحهُ

ومنهم ارباب الجرائد والاطباء. وجرائدنا العربية اليوم في الولايات المتحدة ثماني جرائد وهي كوكب اميركا اقدم جريدة عربية في العالم الجديد والهدى ومرآة الغرب والصخرة والمحيط والاقبال والراوي والمهجر. وهي تدخل الممالك العثمانية ما عدا الثلاث الاولى لانها حرة

ولقد كانت حالة صحافتنا فيما مضى غير راضية بسبب كثرة مناظراتها التي لا طائل تحتها. واما اليوم فمجالتها سارة واقوالها مفيدة. وقد انشئت عدة جرائد غير التي ذكرت الاَّ انها ماتت لقلة مكاسبها وفي نية بعض ادبائنا انشاء جرائد جديدة

وبين نزالتنا جماعة من ارباب الاقلام لم يرتضوا بخدمة الادب لان بضاعة القلم مازالت كاسدة عندنا كما هي الحال في سورية. ولذا تراهم يفضلون المراكز المادية على المراكز الادبية فصار اكثرهم تجاراً وكانت النتيجة حرمان الامة السورية من علومهم ومعارفهم

البحث الثاني في الداعي الى المهاجرة

اسباب المهاجرة في هذه السنين الاخيرة هي اولاً ضيق ابواب المعاش في سورية. وثانياً فساد بعض عمّال الدولة العثمانية ومأموريها فما احرى حكومتنا ان تسد الخلل وتحسن الشؤون والاحوال

هذا شمال بغداد المهجور الفسيح الارجاء. وهذه بادية الشام واراضي باشان. وهذه سهول موآب وادوم الوسيعة. فلو ساد في اطرافها الامن ووجهت الدولة اليها انظارها ووهبتها لفلاحي البلاد ليحرثوها ويزرعوها ويستثمروها لجادت عليهم بالخيرات الكثيرة

البحث الثالث في معيشة السوريين وعاداتهم

تخلق السوريون ولا سيما ادباؤهم بكثير من اخلاق الاميركيين في وقت وجيز من الزمن واقتبسوا عاداتهم ولكنهم ظلوا محافظين على عاداتهم ومعيشتهم الشرقية ايضاً. فهم مع الاميركي اميركيون ومع الشرقي شرقيون. فاذا زارهم اميركي عاملوهُ كما يعاملهُ ابن بلادهِ وما زار اميركي سورياً الاَّ خرج مادحاً ما لقيهُ من حسن ضيافتهِ ورقة اخلاقهِ ومتعجباً كيف ان هذا الشرقي الحديث العهد في بلادهِ جاراهُ في مصطلحاتهِ وباراهُ في عوائدهِ وكاد يسبقهُ في اتقانها

وقد افتتح السوريون مطاعم فيها من جميع المأكولات والمشروبات السورية. فاذا جاء قادم من الشرق ومرَّ على تلك المطاعم في شارع وشنطن في نيويورك خال نفسهُ في سورية

اما الالقاب فلا يزالون محافظين عليها ايضاً. فكل من الكاتب والشاعر والاديب

والطبيب والوجيه والرئيس والزعيم يلقب بالافندي والشيخ ما زال شيخًا والاميرما برح اميرًا اما الذين ولدوا في هذه البلاد الجديدة وشبوا فيها من الشعب السوري فلم يعودوا يرتضون بمصطلحات بلادهم وعوائدهم بل اصبحوا يفضلون المعاشرة والمخالطة مع جمهور الاميركيين على معاشرة السوريين حتى ان معدهم لم تعد تقبل المآكل السورية

البحث الرابع في ما افادت مهاجرة السوريين الى العالم الجديد

لا مشاحة ان فوائد الاغتراب محققة ومعلومة ولا سيما اذا كان الى بلاد زاهية بالتمدن وزاهرة بالحضارة والعمران . فلولا الاغتراب لما بلغ عصرنا ما بلغهُ من التقدم والارتقاء . ولولا اختلاط الشعوب المنحطة بالشعوب الراقية لظل عصرنا معدودًا من العصور المظلمة بالجهالة والتقهقر . فاغتراب السوريين الى العالم الجديدة افادهم فوائد كثيرة اليك بعضها

الفائدة الاولى الثروة : كانت ثروة سورية قبل افتتاح طريق اميركا قليلة بالنظر الى حاجة عامة الامة فتغيرت الحال كثيرًا الآن . هذا جبل كسروان فلولا اميركا لظلت مساكنهُ اكواخًا واهلوهُ يقاسون عذاب الفقر والفاقة . وهذا جبل لبنان فلولا اميركا لما كثرت دورهُ الفخيمة وتحسنت املاكهُ واراضيهِ وتساوى فقيرهُ بغنيهِ . وهذا وادي التيم فلولا اميركا لبقي فقيرهُ مدوسًا فقد كان صاحب المئات في تلك النواحي يعد من اكابر الاغنياء فاصبح اليوم محسوبًا من اصاغر الفقراء وكان ربا المئة غرش هناك ثلاثين غرشًا في السنة واكثر فامسى الآن خمسة غروش للتجار وثماني او تسعة لبقية الناس

وهكذا قل في جبل القلمون وغيرهِ من الكور والقصبات والضياع والمزارع التي جاء بعض اهاليها الى اميركا . فان حالتهم كانت كحالة اخوانهم في جبلي لبنان وكسروان وفي وادي التيم . واما اليوم فقد تحسنت شؤونهم وتوفرت اموالهم

وارتفاع اسعار الاراضي في سورية بعد هذه المهاجرة وكثرة المال فيها امران يدلان على ان اميركا اكثرت ثروة القطر السوري الى حدٍّ لم يحلم بهِ احد من اجدادنا . ومن اين رأس مال تجارة السوريين في العالم الجديد بل من اين ملايين الريالات التي يملكونها اليوم

الفائدة الثانية الاستقلال : سنة ١٧٧٦ اشترى الاميركيون استقلالهم بدمائهم التي جرت كالانهار بعد معارك شهيرة وفي مدة ١٢٩ سنة اصبحوا في مقدمة العالم بالاختراعات والصنائع والفنون والعلوم والقوة والمال والنفوذ . وكل هذا التقدم السريع الغريب هو ثمرة ذلك الاستقلال والسوريون المهاجرون الى بلاد الاميركيين تمتعوا بهذا الاستقلال ولكن بلا سفك دماء

بن بالاختلاط والاقتداء . فصاروا يقاومون كل سلطة مستبدة باقوالهم وافكارهم ويقاتلون كل ظالم بكتاباتهم واموالهم . ولقد ظهرت فوائد الاستقلال بين هذا الشعب المهاجر فكبرت نفسهُ وسمت مطالبهُ وتشددت عزائمهُ وحلقت ابصارهُ الى طلب المعالي

الفائدة الثالثة النشاط : ان السوري نشيط وقد وصف بذلك ولكن حالة بلادهِ الداخلية افقدتهُ نشاطهُ لان كل سبب من اسباب العمران فيها على جانب من الانحطاط . ولما هاجر الى بلاد التمدن ورأى فيها ميادين السباق عادت اليهِ روح النشاط فقرنهُ بنشاط الاميركي فصار يغالب العالم بهمة شماء فاستفاد وتقدم واخذ في مسابقة الاميركيين انفسهم

الفائدة الرابعة ان كل عمل محلل شريف : من اقبح العوائد في القطر السوري ان ليس كل عمل محلل شريف فالفلاح والصانع والعامل والخادم ليسوا شرفاء عند السوري المدعي التمدن وانما العمل الشريف عندهُ هو تعاطي خدمة الحكومة او القلم او العلم لاغير . فكل من هؤلاء اذا قيض لهُ ان يكون مأموراً عند الدولة ثم عزل فلا يرجع الى مهنتهِ ولو اضطرهُ افلالهُ الى التسوّل ظنًّا منهُ ان العمل عار عليهِ . والوجيه او المثري او الكبير الذي ساعدتهُ الايام ليكون كبيرًا بوجاهتهِ او بمالهِ او بنفوذهِ او برجالهِ اذا عاندهُ التوفيق وسطا عليهِ الدهر فلا يعود الى تعاطي تلك الحرف زعمًا بان هذا التنازل يحط من قدرهِ ومقامهِ وشرفهِ

واي طالب علم في سورية يعمل في الحصاد وما اشبه في ايام عطلة المدرسة كما يفعل طلاَّب العلم في العالم الجديد فان الطالب الاميركي يقضي ايام العطلة في العمل إما في الحصاد او في المعامل او في الطرق او في المطاعم او في الاستخدام معتقدًا ان "كل عمل محلل شريف" وانهُ ما من عار على من يعمل بل على من لا يعمل

وقد اقبلت المواسم في العام الماضي في بعض الولايات المتحدة الجنوبية فاضطر الفلاحون والمزارعون الى فعلة كثار لحصاد مزروعاتهم فاذاعوا انهم يدفعون اجرة اليوم من ريالين الى ثلاثة ريالات لكل من يريد العمل عندهم . ولما بلغ الخبر كثيرين من طلبة الكليات الخارجين الى العطلة المدرسية ذهب عدد عظيم منهم للعمل في الحقول فعملوا بنشاط وحصلوا نصيبهم من المال غير متوهمين ان في العمل منقصة او عارًا او اهانة كما يتوهم ابناء سورية . وقد ذكرت ذلك جريدة الهدى في نيويورك في وقتهِ . فالسوريون المهاجرون استفادوا من الاميركيين هذه الفائدة العظيمة ولذا نراهم يتقلبون في الاعمال كلما سنحت الفرصة

البحث الخامس في مستقبل السوريين في العالم الجديد

لا يمكننا الجزم بما يكون مستقبل السوريين في هذه البلاد تمامًا ولكننا نقول بالاجمال

انهُ سيكون مجيداً للاسباب الآتية وهي

اولاً . اتساع ثروتهم

ثانياً . تقدم تجارتهم وامتدادها واهتمامهم المتواصل بتحسينها ومجاراة الاميركيين

ثالثاً . نشاطهم في اعمالهم كما سبق الكلام عنهُ في البحث الرابع من هذه المقالة

رابعاً . جمعياتهم المتنوعة الآيلة لخيرهم الادبي والمادي والاخذة بالتقدم والتحسن والامتداد الى كل مدينة وجد فيها سوريون من مدن هذه الولايات

خامساً . اهتمامهم بتهذيب ابنائهم رجال الاستقبال الذين يتوقف عليهم حسن مستقبلهم وازدياد تقدمهم

سادساً . انتشار جرائدهم والاهتمام بتحسينها وتقدمها واكثارها ونشرها للمواضيع المفيدة

سابعاً . انهم في الولايات المتحدة العظيمة التي سبقت العالم او كادت في كل فن ومشروع مدني وعمراني ولهم مجال واسع للاقتداء والتقليد

الخاتمة

لما كانت العلاقة شديدة بين السوريين المهاجرين او المتغربين الى اميركا فقد رأيت من الضروري ان اختم سطوري بنصائح لابناء وطني السوري العزيز

النصيحة الاولى . على مَن يريد المجيء الى الولايات المتحدة ان يكون صحيح الجسم والعيون . فان كان ذا مرضٍ معديٍ وكانت عيناهُ ضعيفتين فلا يدخل هذه البلاد

الثانية . ان يحضر معهُ مقداراً قليلاً من المال ينفقهُ قبل شروعهِ في العمل

الثالثة . ان يكون اقرارهُ في ادارة المهاجرة في نيويورك كاقرارهِ في مرسيليا بالحرف الواحد وان يكون حسن الملابس نظيفها ما امكن اذا وقف امام هيئة الادارة المذكورة . والاقرار هو سؤالات تطرح على القادم المهاجر في الكبانية في مرسيليا حيث يقطع جواز السفر ثم في ادارة المهاجرة المشار اليها . والسؤالات هي كما يأتي

(١) الى اين تقصد الذهاب

(٢) ما هي صنعتك وماذا تقصد ان يكون شغلك في الولايات المتحدة

(٣) هل لك اقارب هناك واذا كان لك فما هو عنوانهم

(٤) كم هي كمية الدراهم التي تزيد معك عن ثمن جواز سفرك

(٥) هل انت اعزب او متزوج فاذا كان متزوجاً وترك امرأتهُ واولادهُ فالكبانية

تصحهُ ان يكون اقرارهُ انهُ اعزب لان ادارة المهاجرة لا تسمح لهُ بالدخول اذا كان متزوجًا وقد ترك عائلتهُ في بلاد بعيدة

الرابعة . ان كل امراة غير مصحوبة بعلها او اخيها لا تدخل وكل ابنة غير مصحوبة بابيها او اخيها لا تدخل ايضًا

الخامسة . ان لا يحسب ان المال في اميركا ملقى في طرقها وشوارعها فان المال يتطلب مشقات ومتاعب كثيرة لا يستطيع تحملها الاَّ الذي عضهُ الفقر وتعود الدأب والتعب . فكل مَن تعود الترف والراحة الجسديَّة في بلادهِ وكان فقيرًا فننصح لهُ ان لا يأتي اميركا لان العاقبة وخيمة والندم لا يجديهِ نفعًا

السادسة . ان يحسب انهُ اذا كان دخلهُ الشهري في سوريا ٢٠٠ غرش فهذه القيمة افضل من ٦٠٠ غرش في الولايات المتحدة لان ما يكفيهِ عامًا في بلادهِ نفقةً لا يكفيهِ في اميركا ثلاثة شهور

السابعة . ان كل من يجهل لغة اميركا وكان بلا رأس مال لا يستطيع العمل بغير الكشة وقد سبق الكلام عن اشكال الالعاب التي يقاسيها صاحب هذه الحرفة

الثامنة . ان مخاطر اميركا كثيرة . فان صواعقها وزوابعها هائلة وكثيرًا ما دمرت الدور والمساكن واقتلعت الاغراس وذهبت بالارواح وقطرُها الحديدية وسائر الآلات البخارية المتنوعة والمتوفرة في الولايات المتحدة طالما قطعت الايدي والارجل وهشمت الاعضاء واماتت العباد . وكثرة الامطار طالما فعلت فعل الزوابع والصواعق والقطر الحديدية . فقد هطلت اياماً في هذا العام فسببت طوفانًا في بعض بلدان الولايات فكانت النتيجة موت الوف من الناس غرقًا وخسارة ملايين الريالات

والتقلبات الجوية في هذه البلاد ليس ضررها باقل من اضرار المخاطر المذكورة آنفًا . فكثيرًا ما يتغير الطقس في النهار من حرٍّ شديد الى برد قارس فيسبب هذا التغيُّر السريع علاَّ صدريَّة واضرارًا صحية مختلفة في جسم السوري الذي تعود اعتدال اقليم سورية ونقاوة هوائها وترتيب فصولها وطيب مائها

التاسعة . انهُ اذا تحسنت شؤون سورية الزراعية والصناعية والتجارية والادارية ولو قليلاً فهي افضل بلاد للاقامة فيها

يوسف جرجس زخم الريشاني

الولايات المتحدة